اكتشاف قبر من العصر البيزنطي المبكر في خربة عثمان / خلدا ٢٠٠٢

أديب أبو شميس

المقدمة

تتبع هذه المنطقة إداريا لواء الجامعة من محافظة العاصمة، وتقع إلى الغرب من وسط مدينة عمان إحداثي المنطقة (٣٩٠٩٥, ٥٤٢٠٥) حسب خارطة صويلح - لوحة أ غ (٤٦١) ويبلغ ارتفاع المنطقة ٩٩٢م عن مستوى سطح البحر كما تبعد ٢كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة صويلح (**الشكل ١**)، وخلال العقدين الماضيين قامت دائرة الآثار العامة بأعمال مسوحات وتنقيب أثري كشفت عن وجود استيطان مدني بارز وخاصة من الحضارة العمونية في هذه المنطقة، وتمثل ذلك بوجود عدد من الأبراج والمباني التي كانت تشكل نظاماً دفاعياً واقتصادياً حول ربة عمون / العاصمة في العصر الحديدي. خاصة وأن الوثائق الكتابية والدينية / التاريخية قد أشارت بوضوح لهذه الحضارة، وقد أثبتت صحة ذلك الأبحاث والمكتشفات الأثرية. وقد جرت أعمال تنقيب في المنطقة بالتعاون مع دائرة الآثار العامة منها:

- حفرية في برج خلدا / قصر خلدا، تحت أشراف المركز الأمريكي لدراسات الشرقية بالتعاون مع دائرة الآثار العامة عام ١٩٧٢.
- مسوحات عمان الكبرى ١٩٨٨ وقد رصد هذا الموقع تحت رقم (١٧٦) (Abu Dayeh *et al.*:1991).
- إكتشاف كنيسة خلدا العصر البيزنطي (النجار ١٩٩٤).
- اكتشاف عرضي لبقايا من العصر الإسلامي المبكر ومخزن يعود للعصر الإسلامي المتوسط / المملوكي (أبو شميس ٢٠٠٠).
- اكتشاف عرضي لمجموعة من الكهوف أثناء شق طرق في المنطقة من قبل أمانة العاصمة / التنظيم (عصور برونزية وبيزنطية).

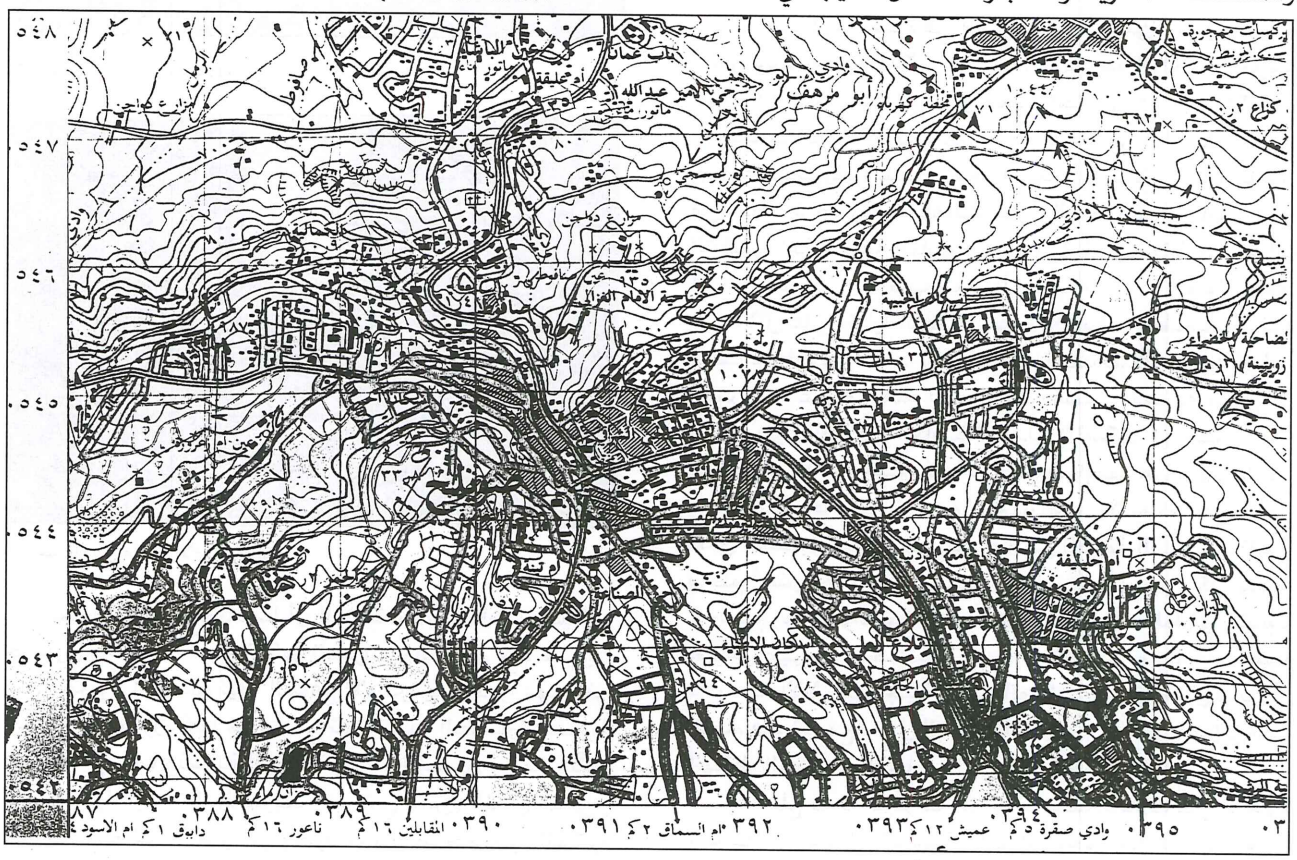

١. خارطة توضح منطقة صويلح.

٢. مدخل المدفن الأصلي/خلدا.

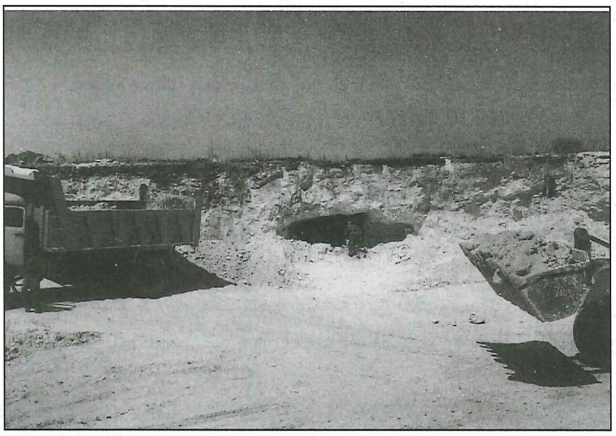

٣. منظر عام لمنطقة خلدا.

٤. مشعل في مكانه الأصلي/ خلدا.

مما تقدم يتضح تماماً أن المنطقة كانت ذات استيطان حضاري واسع أتى عليه التطور العمراني والتنموي منذ عشرين عاما تقريباً. لقد كان لهذا الموقع الاستراتيجي دوراً مهماً في حماية ربة عمون، كما ساهم في تعزيز هذه الحضارة خصوبة المنطقة وارتفاع نسبة الرطوبة، فقام الإنسان بحفر الآبار وجمع المياه، واستغل التجويف الطبيعي لخزن الغلال للتموين والتجارة، فقد أشير إلى وجود خزان ضخم يعود للفترة الهلنستية. مسوحات ASGA ونتيجة لأعمال الإنشاء والتعمير التي تشهدها المملكة والعاصمة تحديداً، فقد قام مركز أمن صويلح بإبلاغ دائرة الآثار العامة عن وجود ثلاث قطع خزفية كشفت أثناء تجريف قطعة أرض تمهيداً لإقامة مشروع إسكان أبو اللبن بتاريخ ٢٠٠٢/٨/٣. وقد أوقف العمل لإجراء تنقيب عرضي ولوحظ وجود بقايا لكهف منحوت بداخله حجرات الدفن/ قبور. ومن خلال الأعمال الميدانية والدراسة المقارنة، تبين أن القبر يعود للعصر البيزنطي - الفترة الأولى المبكرة.

وصف الموقع

أرض صخرية تماماً تكسوها تربة حمراء سمكها من ٤٠-٥٠سم، ويبلغ سمك طبقة الصخر التي تعلو غرفة القبر/الكهف حوالي ١,٧٠سم، وقد نحتت غرفة القبر في الصخر الجيري / الكلس اللين وعند تفحص واجهات الغرفة المتبقية من المدفن لوحظ وجود زخارف ونقوش وضع بعضها داخل إطار، ولم تكن هذه الزخارف ذات دلالة فنية معمارية، فقد حزز الصخر اللين / الطري بشكل عشوائي غير متقن بطريقة سريعة. وفي الجانب الشرقي يوجد مدخل المدفن الأصلي ممر الذي أغلق بواسطة حجر مشغول ومشذب وضع بإحكام (**الشكل ٢**)، ويغطي الجزء المتبقي من غرفة طقوس الدفن كوم من الأتربة والحجارة الساقطة والمترسبة مع الزمن (**الشكل ٣**).

أعمال التنقيب

بدأ العمل مباشرة في الجزء المتبقي من أرضية غرفة الدفن ومساحتها ٢٥٠ × ١٥٠سم، ومساحة الواجهة الغربية ٢٥٠ ـ ٢٠٠سم، حيث تم تنزيل مجس اختباري ١٥٠ × ٢٠٠سم.

فكانت الطبقة العليا عبارة عن كومه من تراب نتجت عن عملية التجريف وتغطي وسط المجس بارتفاع ٩٢سم، تتكون من حجارة جيرية تساقطت جراء التجريف الحاصل قبل التنقيب. أما الطبقة الثانية فكانت عبارة عن طبقة من التراب الأحمر السائب والرطب جداً يبلغ سمكه ٢٠-٣٠سم ولا يوجد بها دلائل على بقايا أثرية أي طمم حديث. والطبقة الثالثة كانت عبارة عن تراب أحمر متماسك بشكل يشبه الطين المترسب، عثر في هذه الطبقة على مشعل وبجانبه سراج في وضع يبين أنها في مكانها الأصلي (**الشكل ٤**)، سمك هذه الطبقة من ١٥-٢٠سم. كما تم الكشف ايضا عن حجر للدفن مساحة كل حجرة ٦٠ × ١٨٠سم بارتفاع ٧٥سم تم نحتها على شكل مستطيل بسقف برميلي، أما عن الطبقة التي كانت تغطي معظم أرضية الغرف فكانت من التراب بلون احمر داكن بسمك ٤-٥سم وهي مواد عضوية امتزجت بالتراب الطيني نتيجة لعوامل طبيعية مختلفة وتحللت مع الزمن، لم يتم اخذ عينة للدراسة ألانثروبولوجية لتآكل العظام .ومن التحليل تبين أن الماء قد تجمع داخل القبر (**الشكل ٥**) مما أدى إلى تلف الهياكل العظمية والزخارف التي على الجدران.

وقد بلغ عدد حجرات الدفن المتبقية ثلاث في الواجهة الغربية وواحدة في الواجهة الشمالية وجزء من حجرة خامسة في الواجهة الشمالية أيضا (**الشكل ٦**).

٥. حجرة قبر (مدفن روماني) خلدا.

٦. ما بقي من الدمفن الروماني/خلدا.

وقد تم الكشف داخل الحجرات على بعض النقوش والزخارف تم تشكيلها بواسطة أظافر اليدوهي نقش باللغة اليونانية (ناروس NAPOC) وهو أسم المتوفى، وعند دراسة تطور أشكال الحروف ومقارنة ذلك بما كشف نلاحظ أن حرف

A قد تطور منذ نهاية القرن الخامس وبداية السادس الميلادي حيث بدأ بشكل دوراني ثم أخذ شكل بيضاوي في نهاية القرن الخامس وفي نهاية القرن السادس أصبح بشكل طولي (Russell 1996) وشكل حرف» في النقش يقترب من هذه الفترة، وقد وضعت هذه الكتابة ضمن إطار فوق واجهة حجرة الدفن قياس ٢٠ × ٧٥سم تقريباً ثم صقل أسفل الكتابة بدهان لحفظ ثبات النقش (يشبه الطلي/الطراشة) (**الشكل ٧**).

كما لوحظ وجود هناك تحزيز لشكل إطار على الواجهة الشمالية بين حجرتي الدفن بقياس ٦٠ × ١٠٠سم وبداخله نقش باللغة اليونانية (ياسوف (IACIF)) نلاحظ أن حرف F كتب بشكل هندسي مضلع كان قد استخدم لغايات زخرفية في اللوحات الفسيفسائية ويشابه ما وجد في كنيسة مصلى العماد الجديد / جبل نبو والتي تعود في تاريخها لنهاية القرن السادس (بيشريللو ١٩٩٢) (**الشكل ٧**). وفي أقصى يمين الإطار يوجد شكل مبنى ديني / ربما كنيسة ولها قبة يخرج من وسطها برج على شكل أوراق سعف النخيل، ورسم على واجهة المبنى / الكنيسة شكلان لصليب يوناني وخطوط مستقيمة ربما تمثل مدخل أو نوافذ للكنيسة، وتعود هذه الأشكال في تأريخها للقرن السادس الميلادي تقريبا.

وقد كتبت هذه الرموز الدينية من قبل رجال الدين أثناء تأدية طقوس جنائزية وربما تعود هذه القبور لرجال دين امضوا حياتهم في خدمة ورعاية الكنيسة المكتشفة على بعد ١٠٠م (Najjar and Said 1994). كما كشف على بعد ٨٠م رقعة من الفسيفساء وجدت في أرضية منزل يعود للعصر الأموي وهي في الأصل جزء من فسيفساء كنيسة مدمرة (أبو شميس ٢٠٠١).

المكتشفات

١. سراج فخاري دائري الشكل عثر عليه أثناء عملية التنقيب العرضي، ارتفاعه ٢,٧سم وقطره ٧,٥ سم زخرف الجزء العلوي بنقاط بارزة / نافرة تشبه كرات صغيرة أو نقاط كروية عددها ٧ على جانبي فتحة الزيت، وربما يكون لهذا العدد علاقة بأيام الخلق وعمل المقبض على شكل عقدة صغيرة وأما فتحة الشعلة فهي متآكلة إذ أن السراج غير كامل. وعجينته خالية من الشوائب، لونها احمر فاتح وقاعدته دائرية وعلى الجزء السفلي والعلوي من القالب زخارف على شكل خطوط نافرة. طريقة الحرق جيد جداً، يؤرخ هذا الطراز للعصر البيزنطي بداية القرن الخامس الميلادي ويعتبر استمرار لطراز العصر الروماني المتأخر (**الشكل ٨**).

٢. مشعل رقم (٤) ارتفاعه ١٩,٥سم، له جسم أسطواني ينتهي من الأعلى بصحن دائري الشكل لوضع الزيت، قطر ١٣سم، كما أضيف له في وسط الصحن حلقة تشبه الفنجان، مكان الشعلة وبها ثقب واحد لدخول الزيت، وينتهي جسم المشعل الأسطواني بحافة دائرية بسيطة قطرها ٦,٤سم وغير منتظمة مقطعها مثلث الشكل، دهن الصحن من الداخل باللون الأحمر اللامع لمنع تسرب الزيت وهناك أثر للدهان على السطح الخارجي للمشعل وخصوصا صحن الزيت (**الشكل ٩**).

والعجينة المستعملة ذات لون أحمر فاتح ويوجد بها شوائب هي عبارة عن حبيبات كلس أبيض، وقد تمت عملية الحرق بشكل جيدا، أما بدن الشمعدان فهو غير منتظم بسبب طريقة التصنيع. كما أضيف عند منتصف القاعدة الأسطوانية مقبض له حافة مضغوطة، كما لوحظ وجود تحزيز بأداة حادة عند موضع لصق المقبض ربما لتثبيت المقبض.

ملاحظة: هناك مشعلان بمقبض في المتحف الأردني تحت رقم ١٣٣١٥ و١٣٣١٤ وهي من قبر روماني/أم الحيران، ومشعل آخر في متحف الكرك سجل تحت رقم ١٠/٩

- ❖ مشعل رقم (٢) بلغ ارتفاعه ١٨,٥سم وقطر فوهته /مكان الشعلة ٣,٤سم.
- ❖ مشعل رقم (٣) ارتفاعه ١٩,٥سم وقطر القاعدة ٧,٢سم وقطر صحن الزيت ١٥,٧سم، وقطر فوهة الشعلة ٣سم.
- ❖ مشعل رقم (٥) ارتفاعه ٢٣سم وقطر صحن الزيت ١٥,٧سم وقطر فوهة الشعلة ٥سم وقطر القاعدة ٩سم.

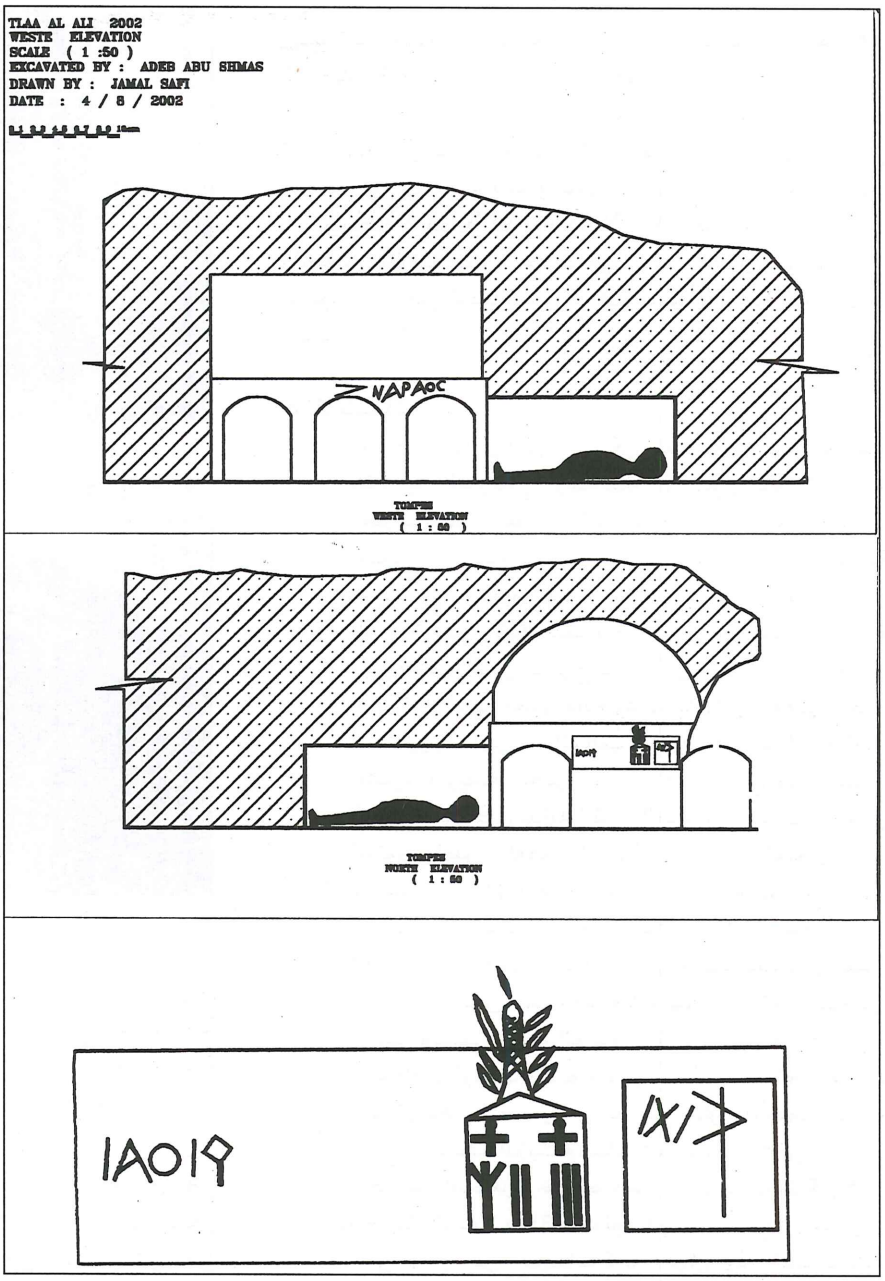

٧. توضيح للنقش الموجود في الواجهة الشمالية للمدفن/خلدا.

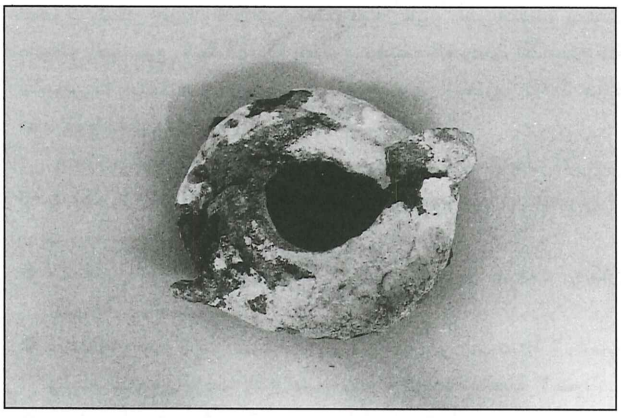

٨. سراج من الفترة الرومانية المتأخرة/خلدا.

وقد أستلمت هذه المشاعل من خلال مخفر صويلح والتي تحمل الأرقام ٢، ٣، ٥ (**الشكل ٩**) لذلك من الأنسب وصفها من دون تفصيل كونها وجدت مع التجريف ولم تكتشف في أماكنها الأصلية، ولكنها تمثل مجموعة واحدة من حيث التصنيع وعدم انتظام وقفة المشعل وهي من نفس القبر.

ومن خصائص هذه المجموعة وجود سمك في عجينة الفخار عند القاعدة لتثبت وقفة المشعل، كما أن قطر القاعدة يساوي نصف قطر صحن الزيت وهي نظرية هندسية لحفظ توازن المشعل، مع وجود ميل في وقفة المشعل بسبب طريقة الصنع.

كما يتم صنع صحن الزيت بشكل زبدية منفردة / قطعة لوحدها تضاف حلقة من طين الفخار وسط الصحن / مكان

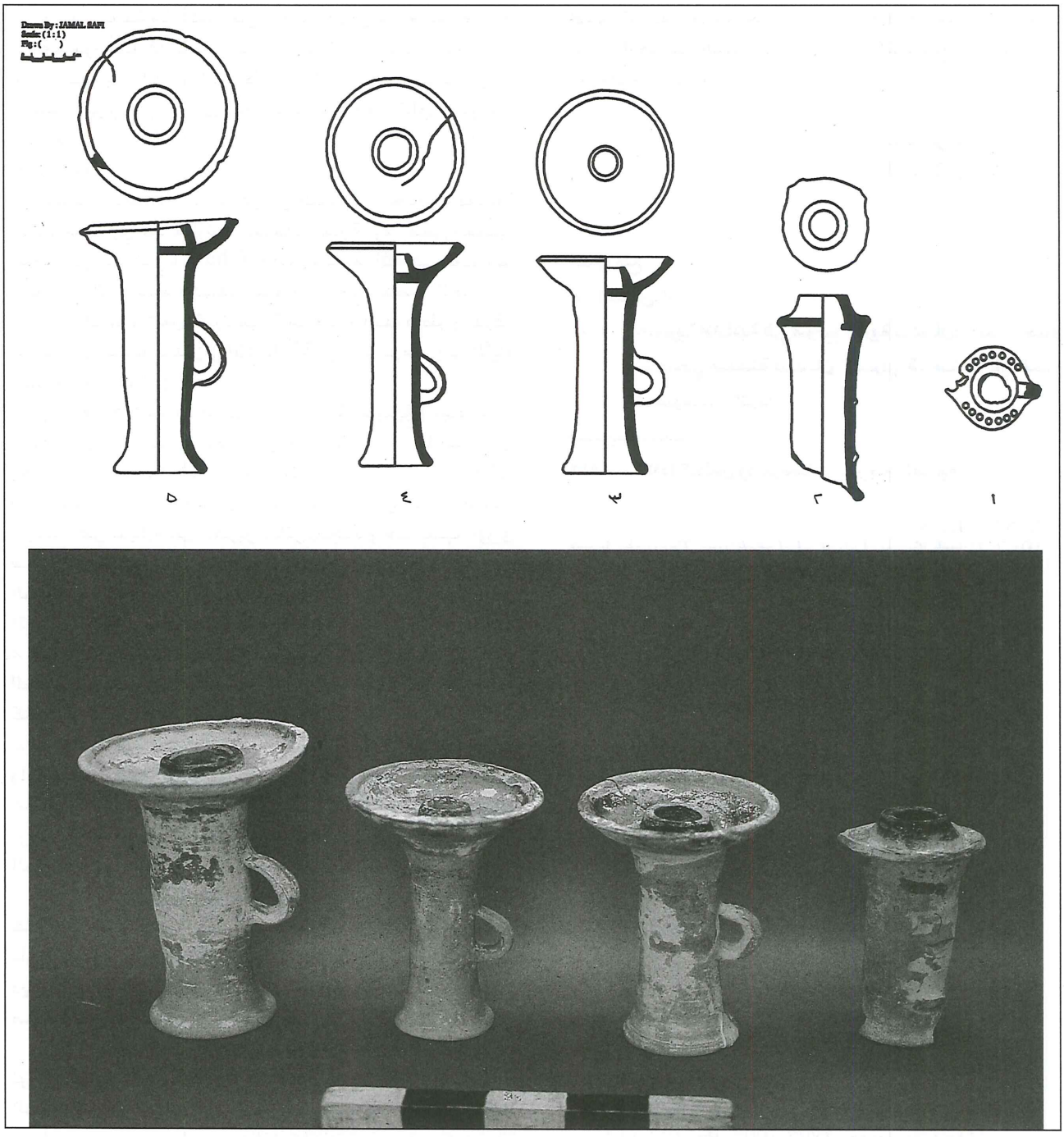

٩. قطع فخارية مختلفة.

الشعلة تكون بشكل دائري وتضاف باليد ثم يسوى مكان لصقها وتثقب لمرور الزيت ولهذه المجموعة من المشاعل ثقب واحد.

بعد ذلك يتم صنع الجسم الحامل على العجل وينتهي ببروز حافة دائرية لتركيب الصحن، وعند تركيب الصحن يسوى مكان اللصق باليد، لكن ذلك يتم بعد أن يكون الحامل قد جف بعض الشيء وذلك لاستخدام اليد في الضغط أثناء جمع الصحن والحامل / القاعدة الاسطوانية. ونتيجة لهذا يظهر شكل المشعل مائل في وقفته لأنه يلصق وهو بحالة أقل جفافاً من الحامل، ثم يضاف المقبض، وعند الانتهاء من تركيب القطع المكونة للشكل يتعرض للحرارة داخل الفرن.

ولمقارنة هذه المجموعة بما كشف في ياجوز نجد أن هذه المشاعل ذات حجم أكبر وقد صنعت بطريقة أبسط وأقل فنية من تلك المجموعة. كما أن هذه المجموعة لا تحمل أي زخرفة على حافة صحن المشعل أو بدنه وهذا لا يتفق مع ما كشف في ياجوز وغيرها، حتى أن زخرفة سعف النخيل وجدت على المشاعل التي رسمت في الفسيفساء (Piccrillo: 1993).

وعند متابعة ما كشف في منطقة عمان سواء الجوفة، أو خربة ياجوز فإنه قد يكون لبساطة التصنيع انعكاس للفترة التي عرفت في نهاية العصر البيزنطي (أطلق عليه الباحث باتشريللو العصر البيزنطي الأموي) وقد يتفق هذا مع التطور الذي بدا في الحروف اليونانية

الخلاصة

يعتبر أستعمال المشاعل في الطقوس الجنائزية بمثابة تقليد حضاري قديم إرتبط بشعائر دينية أولا، ففي العصر النحاسي عرف (Chalice) وكان ما يماثله في العصر البرونزي المتوسط وكذلك الشمعدان في العصر الحديدي حيث عرف بالمشعل الفينيقي، كما صاغ اليهود طراز عرف بالمنارة / الشمعدان (Menorah) والذي يرمز إلى الأيام السبعة (أيام الخلق).

ومن هنا فإن ما كشف في العصور الكلاسيكية (اليونانية × والرومانية) يعتبر تطوراً أو جيلاً جديداً للمشاعل (حقخفخ×ففحث) التي استخدمت لنفس الغرض. وقد كانت هذه المشاغل في معظمها ذات زخارف على حافة صحن الزيت، وهي عبارة عن تحزيز غائر باتجاه واحد يشبه أوراق سعف النخيل أو تحزيز متعاكس بإستعمال اداة حادة. ونذكر من المواقع التي كشف بها هذا النوع من المشاعل في قبر جبل الجوفة الشرقي (بيشه ١٩٧٢) حيث تم تأرخه إلى القرن الثالث × الرابع الميلادي. كذلك في قبر أم تينه الجنوبي × جبل الجوفة (أبو شميس ١٩٨٣) أرخ إلى نهاية العصر الروماني. كما كشف أيضا في كهف منطقة جلعاد/ السلط (قنديل ١٩٧٣) عن نوعية مماثلة أرخت إلى العصر البيزنطي القرن الرابع والخامس الميلادي. أما عن مجموعة خربة ياجوز (خليل ١٩٩٨) فقد أرخت للقرن السادس وبداية السابع الميلادي، كما أرخ (Bagatti 1985) الأشكال المشابهة للمشاغل في المخيط للقرن السادس الميلادي.

أن ما كشف في خربة ياجوز كان في سرداب الكنيسة وما كشف هنا قرب كنيسة بنيت في بداية العصر الأموي. قد يوحي بأن استخدام هذا الطراز كان ذا صلة أكيدة باستخدام طقوس دينية ذات مراسم معينة تقتضي استخدام مشاعل تستمر مشتعلة طلية وقت القداس الجنائزي.

كما إن عجينة الفخار التي صنعت منها هذه المشاعل ذات لون احمر فاتح وخالي من الشوائب بنسبة ٧٠٪، وكذلك المقبض الذي أضيف وله حواف مضغوطة عرف هذا التشكيل في العصر الروماني المتأخر(الفترة الانتقالية)، وقد يكون لرقة جسم المشعل ميزة أخرى تؤكد تاريخ هذه المصابيح لبداية القرن الخامس الميلادي واستمرار التصنيع على الطريقة الرومانية × الفترة المتأخرة.

أديب أبو شميس
دائرة الآثار العامة

المراجع

أبو شميس، أديب

٢٠٠٠ **حفرية إنقاذية في موقع خربة عثمان، خلدا. إحدى ضواحي مدينة عمان الغربية. حفظ في قسم المعلومات الأثرية.**

بيشريللو، ميشيل

١٩٩٢ **مادبا كنائس وفسيفساء. مترجم للعربية.**

Abu Shmais, A.
1983 *Tomb from Jabel el-Jofeh um Teeneh*. kept in Information Section.

Abu-Dayyeh, et al.
1991 Archaeological Survey of Greater Amman, Phase 1: final Report. *ADAJ* 36: 361-395.

Bagatti, B.
1985 Nuova cermica del monte Nebo (Siyagha). *LA* 25: 249-279.

Bisheh, G.
1972 A Cave Burial Tomb from Jabal Jofeh el-Sharqi in Amman. *ADAJ* 17: 81-94.

Khalill, L.
1998 Pottery Candlesticks from the Byzantine Period at Yajuz. *SHAJ* 7: 617-627.

Najjar, M. and Sa'id, F.
1994 A New Umayyad Church at Khilde Amman. *LA* 44: 547-460.

Piccirillo, M.
1993 *The Mosaices of Jordan*. Amman, Pp. 28, 129, 212.

Russell, J.
1998 The Paleography of the Madaba Map in the light of Recent Discoveries. *The Madaba Map Centenary 1897-1997*, Pp. 127-132.